

سورة البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾

قسم أقسم الله به جل وعز وفي «الْبُرُوجِ» أقوال أربعة: أحدها: ذات النجوم؛ قاله الحسن وقتادة ومجاهد والضحاك (١). الثاني: القصور، قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد أيضا (٢)، قال عكرمة: هي قصور في السماء (٣)، مجاهد: البروج فيها الحرس (٤). الثالث: ذات الخلق الحسن؛ قاله المنهال بن عمرو، الرابع: ذات المنازل؛ قاله أبو عبيدة ويحيى بن سلام، وهي اثنا عشر برجاً، وهي منازل الكواكب والشمس والقمر، يسير القمر في كل برج منها يومين وثلاث يوم؛ فذلك ثمانية وعشرون يوماً، ثم يستمر ليلتين؛ وتسير الشمس في كل برج منها شهراً (٥)، وهي: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، والبروج في كلام العرب: القصور؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، وقد تقدم.

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ أي: الموعود به، وهو قسم آخر، وهو يوم القيامة؛ من غير اختلاف بين أهل التأويل.

قال ابن عباس: وعد أهل السماء وأهل الأرض أن يجتمعوا فيه (٦)، «وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ» اختلف فيهما؛ فقال علي وابن عباس وابن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهم: الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة، وهو قول الحسن، ورواه أبو هريرة مرفوعاً قال: قال رسول الله ﷺ: «اليوم الموعود يوم القيامة، واليوم المشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة...» (٧) أخرجه أبو عيسى الترمذي في جامعه، وقال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن

(١) صحيح إلى قتادة: الطبري (٣٠ / ١٣٥) في تفسيره، والدر المنثور (٦ / ٥٥٢) للسيوطي، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٢، ٣) انظر: تفسير ابن كثير (٨ / ٢٨٣) والسند إلى ابن عباس ضعيف جداً لكونه من طريق العوفيين.

(٤) صحيح إلى مجاهد وانظر: الطبري (٣٠ / ١٣٥) في تفسيره.

(٥، ٦) انظر: تفسير ابن كثير (٨ / ٢٨٣)، واختاره ابن جرير.

(٧) حسن غريب: الترمذي (٣٣٣٩) في التفسير، وفيه موسى بن عبيدة الرَّبْذِي وهو ضعيف، وصححه الألباني بطرقه وشواهده.

عبيدة يضعف في الحديث، ضعفه يحيى بن سعيد وغيره وقد روى شعبة وسفيان الثوري وغير واحد من الأئمة عنه، قال القشيري: فيوم الجمعة يشهد على كل عامل بما عمل فيه.

قلت: وكذلك سائر الأيام والليالي؛ فكل يوم شاهد، وكذا كل ليلة؛ ودليله ما رواه أبو نعيم الحافظ عن معاوية بن قرة عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال: «ليس من يوم يأتي على العبد إلا ينادي فيه: يا بن آدم، أنا خلق جديد، وأنا فيما تعمل عليك [غداً] شهيد، فاعمل في خيرا أشهد لك به غدا، فإنني لو قد مضيت لم ترني أبدا، ويقول الليل مثل ذلك»، حديث غريب من حديث معاوية، تفرد به عنه زيد العمي، ولا أعلمه مرفوعا، عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد^(١)، وحكى القشيري عن ابن عمر وابن الزبير أن الشاهد يوم الأضحى، وقال سعيد بن المسيب: الشاهد: يوم التروية، والمشهد: يوم عرفة، وروى إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه: الشاهد يوم عرفة، والمشهد يوم النحر، وقاله النخعي، وعن علي أيضا: المشهد يوم عرفة^(٢)، وقال ابن عباس والحسين بن علي رضي الله عنهما: المشهد يوم القيامة^(٣)؛ لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٍ﴾ [هود: ١٠٣].

قلت: وعلى هذا اختلفت أقوال العلماء في الشاهد، فقليل: الله تعالى؛ عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبیر^(٤) بيانه: ﴿وَكُفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]، ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩] وقيل: محمد ﷺ عن ابن عباس أيضا والحسين بن علي^(٥)؛ وقرأ ابن عباس: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] وقرأ الحسين: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

قلت: وأقرأ أنا: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقيل: الأنبياء يشهدون على أممهم؛ لقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١] وقيل: آدم، وقيل: عيسى ابن مريم؛ لقوله: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] والمشهد: أمته، وعن ابن عباس أيضا ومحمد ابن كعب: الشاهد الإنسان^(٦)؛ دليله: ﴿كُفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤] مقاتل: أعضاؤه؛ بيانه: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤] الحسين ابن الفضل: الشاهد هذه الأمة، والمشهد سائر الأمم؛ بيانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] وقيل: الشاهد: الحفظة، والمشهد: بنو آدم، وقيل: الليالي والأيام، وقد بيناه.

قلت: وقد يشهد المال على صاحبه، والأرض بما عمل عليها؛ ففي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «إن هذا المال خضر حلو، ونعم صاحب المسلم هو لمن أعطى منه المسكين

(١) ضعيف: الحلية (٢/ ٣٠٣) لأبي نعيم - رحمه الله، وقال أبو نعيم: «غريب»، وانظر: تعليق المصنف عليه فهو من كلام أبي نعيم - رحمه الله .

(٢) ٥- كله عند ابن كثير (٨/ ٢٨٣، ٢٨٤) في تفسيره، وانظر: السيوطي (٦/ ٥٥٢) في تفسيره .

(٦) ضعيف إلى ابن عباس: ابن أبي حاتم (١٢/ ٣٨٥) في تفسيره .

واليتيم وابن السبيل « أو كما قال رسول الله ﷺ » وإنه من يأخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع ويكون عليه شهيدا يوم القيامة « (١) ، وفي الترمذي عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤] قال: « أتدرون ما أخبرها ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: « فإن أخبرها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول: عمل يوم كذا كذا وكذا، قال: فهذه أخبرها » ، قال حديث حسن غريب صحيح (٢) ، وقيل: الشاهد الخلق، شهدوا لله عز وجل بالوحدانية، والمشهود له بالتوحيد هو الله تعالى، وقيل: المشهود يوم الجمعة؛ كما روى أبو الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: « أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهد الملائكة » وذكر الحديث، خرجه ابن ماجه وغيره (٣).

قلت: فعلى هذا يوم عرفة مشهود، لأن الملائكة تشهد، وتنزل فيه بالرحمة، وكذا يوم النحر إن شاء الله، وقال أبو بكر العطار: الشاهد الحجر الأسود؛ يشهد لمن لمسه بصدق وإخلاص ويقين، والمشهود الحاج، وقيل: الشاهد الأنبياء، والمشهود محمد ﷺ؛ بيانه ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عمران: ٨١] إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ [النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ] إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ ﴿

قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ أي: لعن، قال ابن عباس: كل شيء في القرآن ﴿قُتِلَ﴾ فهو لعن (٤)، وهذا جواب القسم في قول الفراء - واللام فيه مضمرة؛ كقوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: ١] ثم قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩] : أي: لقد أفلح، وقيل: فيه تقديم وتأخير؛ أي: قتل أصحاب الأخدود والسماء ذات البروج؛ قاله أبو حاتم السجستاني، ابن الأنباري: وهذا غلط لأنه لا يجوز لقائل أن يقول: والله قام زيد على معنى قام زيد والله، وقال قوم: جواب القسم: ﴿إِنْ يَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ وهذا قبيح؛ لأن الكلام قد طال بينهما، وقيل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾ ، وقيل: جواب القسم محذوف، أي: والسماء ذات البروج لتبعثن، وهذا اختيار ابن الأنباري، والأخدود: الشق العظيم المستطيل في الأرض كالخندق، وجمعه أخاديد، ومنه الخد لمجاري الدموع، والمخدة؛ لأن الخد يوضع عليها، ويقال: تخدد وجه الرجل: إذا صارت فيه أخاديد من جراح، قال طرفة:

ووجهٌ كَانَ الشَّمْسُ حَلَّتْ رِداءَهَا عليه نَقِيُّ اللونِ لم يَتَخَدَّدْ

﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ [النَّارِ] بدل من ﴿الْأَخْدُودِ﴾ بدل الاشتمال، و﴿الْوُقُودِ﴾ بفتحة الواو قراءة

(١) متفق عليه: البخاري (١٤٦٥) في الزكاة، ومسلم (١٠٥٢) في الزكاة.

(٢) حسن غريب صحيح: الترمذي (٣٣٥٣) في التفسير، وضعفه الألباني.

(٣) ضعيف: ابن ماجه (١٦٣٧) في الجناز، وفيه ريد بن أيمن عن عباد بن نسي وروايته عنه مرسله.

وانظر: صحيح الجامع (١٢٠٩).

(٤) سبق أكثر من مرة.

العامة وهو الخطب، وقرأ قتادة وأبو رجاء ونصر بن عاصم بضم الواو على المصدر؛ أي: ذات الانتقاد والالتهاب، وقيل: ذات الوقود بأبدان الناس، وقرأ أشهب العقيلي وأبو السمال العدوي وابن السميع: «النار ذاتُ» بالرفع فيهما؛ أي: أحرقتهم النار ذات الوقود.

قوله تعالى: ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ أي: الذين خددوا الأخاديد وقعدوا عليها يلقون فيها المؤمنين، وكانوا بنجران في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، وقد اختلفت الرواية في حديثهم، والمعنى متقارب، ففي «صحيح» مسلم عن صهيب: أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر؛ فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إلى غلاما أعلمه السحر؛ فبعث إليه غلاما يعلمه؛ فكان في طريقه إذا سلك، راهب، فقعد إليه وسمع كلامه، فاعجبه؛ فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه؛ فإذا أتى الساحر ضربه؛ فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس؛ فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب: أي بني؟ أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى؛ فإن ابتليت فلا تدل علي، وكان الغلام يبرئ الأكمة والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي، فاتاه بهدايا كثيرة فقال: ما هنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله؛ فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك؟ فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس؛ فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك رب غيري؟! قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام؛ فجيء بالغلام فقال له الملك: أي بني! أقد بلغ من سحرِكَ ما تبرئ^(١) الأكمة والأبرص، وتفعل وتفعل؟! قال: أنا لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب؛ فجيء بالراهب، فقبل له: ارجع عن دينك، فأبى فدعا بالمنشار، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس للملك فقيل له: ارجع عن دينك؛ فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه؛ فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفينهم بما شئت؛ فرجف بهم الجبل، فسقطوا، وجيء بمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور^(٢)، فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقدفوه؛ فذهبوا به فقال: اللهم اكفينهم بما شئت؛ فأنكفأت بهم السفينة، فغرقوا، وجاء بمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟

(١) تبرئ: تشفى اللسان «بري».

(٢) قَرَقُور: قال النووي في رياض الصالحين (١/ ١١٦) شرح ابن عثيمين: «قرقور بضم القافين: نوع من السفن»، وفي شرح مسلم، قال: السفينة الصغيرة.

قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني؛ فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام؛ ثم رماه فوق السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم، فمات؛ فقال الناس: آمنا برب الغلام! آمنا برب الغلام! آمنا برب الغلام! فأتى الملك فقيل له: أرايت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرنا، قد آمن الناس؛ فأمر بالأخدود في أفواه السكك (١)، فخذت، وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها - أو قيل له اقتحم - ففعلوا؛ حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال، لها الغلام: «يا أمة اصبري فإنك على الحق»، أخرجه الترمذي بمعناه (٢).

وفيه: «وكان على طريق الغلام راهب في صومعة» قال معمر: أحسب أن أصحاب الصوامع كانوا يومئذ مسلمين، وفيه: «أن الدابة التي حبست الناس كانت أسدا، وأن الغلام دفن» قال: فيذكر أنه أخرج في زمن عمر بن الخطاب، وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل، وقال: حديث حسن غريب (٣)، ورواه الضحاك عن ابن عباس قال: كان ملك بنجران، وفي رعيته رجل له بنى، فبعثه إلى ساحر يعلمه السحر، وكان طريق الفتى على راهب يقرأ الإنجيل؛ فكان يعجبه ما يسمعه من الراهب، فدخل في دين الراهب؛ فأقبل يوما فإذا حية عظيمة قطعت على الناس طريقهم، فأخذ حجرا فقال: باسم الله رب السموات والأرض وما بينهما؛ فقتلها، وذكر نحو ما تقدم، وأن الملك لما رماه بالسهم وقتله قال أهل مملكة الملك: لا إله إلا إله عبد الله بن ثامر، وكان اسم الغلام، فغضب الملك، وأمر فخذت أخاديد، وجمع فيها حطب ونار، وعرض أهل مملكته عليها، فمن رجع عن التوحيد تركه، ومن ثبت على دينه قذفه في النار، وجيء بامرأة مريض فقبل لها ارجعي عن دينك وإلا قذفناك وولدت. قال: فأشفقت وهمت بالرجوع، فقال لها الصبي الموضع: يا أمي، اثبتي على ما أنت عليه، فإنما هي غميضة؛ فلقوها وابنها (٤)، وروى أبو صالح عن ابن عباس أن النار ارتفعت من الأخدود، فصارت فوق الملك وأصحابه أربعين ذراعا فأحرقتهم (٥)، وقال الضحاك: هم قوم من النصراني كانوا باليمن قبل مبعث رسول الله ﷺ بأربعين سنة، أخذهم يوسف بن شراحيل ابن تبع الحميري، وكانوا نيفا وثمانين رجلا، وحفر لهم أخدودا وأحرقهم فيه (٦)، حكاه الماوردي، وحكى

(١) في أفواه السكك: «في أبوابها» شرح النووي على مسلم (٩/ ٣١٩).

(٢) صحيح: مسلم (٣٠٠٥/ ٧٣) في التفسير، الترمذي (٣٣٤٠) في التفسير، أحمد (٦/ ١١٦) في المسند.

(٣) نظر: الترمذي (٣٣٤٠) في التفسير.

(٤) منقطع: بين الضحاك وابن عباس - رضي الله عنهما.

(٥) واه الإسناد: أبو صالح كذاب يكذب في كل ما رواه عنه على ابن عباس انظر الآتي.

(٦) مرسّل: الطبري (٣٠/ ١٤٢) في تفسيره.

الثعلبي عنه : أن أصحاب الأخدود من بني إسرائيل، أخذوا رجالا ونساءً، فخذوا لهم الأخاديد، ثم أوقدوا فيها النار، ثم أقيم المؤمنون عليها، وقيل لهم: تكفرون أو تقذفون في النار؟ ويزعمون أنه دانيال وأصحابه؛ وقاله عطية العوفي، وروي نحو هذا عن ابن عباس، وقال علي رضي الله عنه: إن ملكا سكر فوق على أخته، فأراد أن يجعل ذلك شرعا في رعيته فلم يقبلوا؛ فأشارت إليه أن يخطب بأن الله - عز وجل - أحل نكاح الأخوات، فلم يسمع منه، فأشارت إليه أن يخذ لهم الأخدود، ويلقي فيه كل من عصاه، ففعل، قال: وبقاياهم ينكحون الأخوات وهم المجوس، وكانوا أهل كتاب^(١).

وروي عن علي أيضا : أن أصحاب الأخدود كان سببهم أن نبيا بعثه الله تعالى إلى الحبشة، فاتبعه ناس، فخذ لهم قومهم أخدودا، فمن اتبع النبي رمي فيها، فنجى بامرأة لها بني رضيع فجزعت، فقال لها: يا أماء، امضى ولا تجزعي^(٢)، وقال أيوب عن عكرمة قال: «قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ» قال: كانوا من قومك من السجستان، وقال الكلبي: هم نصارى نجران، أخذوا بها قوما مؤمنين، فخذوا لهم سبعة أخاديد، طول كل أخدود أربعون ذراعا، وعرضه اثنا عشر ذراعا، ثم طرح فيه النفط والخطب، ثم عرضوهم عليها؛ فمن أبى قذفه فيها، وقيل: قوم من النصارى كانوا بالقسطنطينية زمان قسطنطين، وقال مقاتل: أصحاب الأخدود ثلاثة: واحد بنجران، والآخر بالشام، والآخر بفارس، أما الذي بالشام فأنطونيوس الرومي، وأما الذي بفارس فبختنصر، والذي بأرض العرب يوسف بن ذي نواس، فلم ينزل الله في الذي بفارس والشام قرآنا، وأنزل قرآنا في الذي كان بنجران، وذلك أن رجلين مسلمين كان أحدهما بتهامة، والآخر بنجران، آجر أحدهما نفسه، فجعل يعمل ويقرأ الإنجيل؛ فرأت ابنة المستأجر النور في قراءة الإنجيل، فأخبرت أباهما فأسلم، وبلغوا سبعة وثمانين بين رجل وامرأة، بعد ما رفع عيسى، فخذ لهم يوسف بن ذي نواس بن تبع الحميري أخدودا، وأوقد فيه النار؛ وعرضهم على الكفر، فمن أبى أن يكفر قذفه في النار.

وقال: من رجع عن دين عيسى لم يقذف، وإن امرأة معها ولدها صغير لم يتكلم، فرجعت، فقال لها ابنها: يا أماء، إني أرى أمامك نارا لا تطفأ، فقذفا جميعا أنفسهما في النار، فجعلها الله وابنها في الجنة، فقذف في يوم واحد سبعة وسبعون إنسانا.

وقال ابن إسحاق عن وهب بن منبه: كان رجل من بقايا أهل دين عيسى ابن مريم عليه السلام، يقال له: قيمون، وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا في الدنيا مجاب الدعوة، وكان سائحا في القرى، لا يعرف بقرية إلا مضى عنها، وكان بناء يعمل الطين.

قال محمد بن كعب القرظي: وكان أهل نجران أهل شرك يعبدون الأصنام، وكان في قرية من قراها قريبا من نجران ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر؛ فلما نزل بها قيمون، بنى بها خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي بها الساحر، فجعل أهل نجران يبعثون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم

(١) ضعيف: السيوطي (٦/ ٥٥٤) في الدر المنثور وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) في إسناده نظر: رواه السيوطي في الدر (٦/ ٥٥٤) وعزاه لابن مردويه.

السحر، فبعث إليه الثامر عبد الله بن الثامر، فكان مع غلمان أهل نجران، فكان عبد الله إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من أمر صلاته وعبادته، فجعل يجلس إليه ويسمع منه، حتى أسلم، فوحد الله وعبد، وجعل يسأله عن اسم الله الأعظم، وكان الراهب يعلمه، فكتبه إليه وقال: يا بن أخي، إنك لن تحمله، أخشى ضعفك عنه؛ وكان أبوه الثامر لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان، فلما رأى عبد الله أن الراهب قد بخل عليه بتعليم اسم الله الأعظم، عمد إلى قداح فجمعها، ثم لم يبق لله تعالى اسماً يعلمه إلا كتبه في قدح، لكل اسم قدح؛ حتى إذا أحصاها أوقد لها ناراً، ثم جعل يقذفها فيها قدحاً قدحاً، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقدره، فوثب القدح حتى خرج منها لم يضره شيء، فأخذه ثم قام إلى صاحبه، فأخبره أنه قد علم اسم الله الأعظم الذي كتبه إياه، فقال: وما هو؟ قال: كذا وكذا، قال: وكيف علمته؟ فأخبره بما صنع، فقال له: يا بن أخي، قد أصبته، فأمسك على نفسك، وما أظن أن تفعل.

فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق أحداً به ضر إلا قال: يا عبد الله، أتوحد الله وتدخل في ديني، فأدعو الله لك فيعافيك مما أنت فيه من البلاء؟ فيقول: نعم؛ فيوحد الله ويسلم، فيدعو الله له فيشفي، حتى لم يبق أحد بنجران به ضر إلا أتاه فاتبعه على دينه ودعا له فغوفي؛ حتى رفع شأنه إلى ملكهم، فدعاه فقال له: أفسدت علي أهل قريتي، وخالفت ديني ودين آبائي، فلأمثلن بك، قال: لا تقدر على ذلك؛ فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل، فيطرح عن رأسه، فيقع على الأرض ليس به بأس، وجعل يبعث به إلى مياه نجران، بحار لا يلقى فيها شيء إلا هلك، فيلقي فيها فيخرج ليس به بأس؛ فلما غلبه قال له عبد الله بن الثامر: والله لا تقدر على قتلي حتى توحد الله وتؤمن بما آمنت به؛ فإنك إن فعلت ذلك سلطت علي وقتلتي، فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادته، ثم ضربه بعضاً فشججه شجرة صغيرة ليست بكبيرة، فقتله، وهلك الملك مكانه، واجتمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر، وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم من الإنجيل وحكمه، ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث؛ فمن ذلك كان أصل النصرانية بنجران، فسار إليهم ذو نواس اليهودي بجنوده من حمير، فدعاهم إلى اليهودية، وخيرهم بين ذلك أو القتل، فاختراروا القتل، فخذ لهم الأخدود، فحرق بالنار وقتل بالسيف، ومثل بهم حتى قتل منهم عشرين ألفاً، وقال وهب بن منبه: اثني عشر ألفاً^(١)، وقال الكلبي: كان أصحاب الأخدود سبعين ألفاً، قال وهب: ثم لما غلب أرباط على اليمن خرج ذو نواس هارباً، فاقتحم البحر بفرسه فغرق^(٢)، قال ابن إسحاق^(٣): وذو نواس هذا اسمه زرعة بن تبان أسعد الحميري، وكان أيضاً يسمى يوسف، وكان له غداثر من شعر تنوس، أي: تضطرب، فسمي ذا نواس، وكان فعل هذا بأهل نجران، فأقلت منهم رجل اسمه دوس ذو ثعلبان، فساق الحبشة لينتصر بهم، فملكوا اليمن وهلك ذو نواس في البحر، ألقى نفسه

(١) كذا عند ابن كثير (٨/ ٢٨٨) بنحوه .

(٢) سيرة ابن هشام (٣/ ١) وما بعدها .

فيه، وفيه يقول عمرو بن معدي كرب:

أَتُوْعِدُنِي كَأَنَّكَ ذُو رُعَيْنِ بَأْنَعِمَ عِيشِيَةِ أَوْ ذُو نُؤَاسِ
وَكَأَنَّ كَانَ قَبْلَكَ مِنْ نَعِيمٍ وَمَلِكٌ ثَابِتٌ فِي النَّاسِ رَاسِ
قَدِيمَ عَهْدِهِ مِنْ عَهْدِ عَادٍ عَظِيمَ قَاهِرِ الْجَبَرُوتِ قَاسِ
أَزَالَ الدَّهْرُ مُلْكَهُمْ فَأُضْحَى يَنْقُلُ مِنْ أَنَاسٍ فِي أَنَاسِ

وذو رعين: ملك من ملوك حمير، ورعين: حصن له وهو من ولد الحارث بن عمرو بن حمير ابن سبأ.

مسألة: قال علماؤنا: أعلم الله عز وجل المؤمنين من هذه الأمة في هذه الآية، ما كان يلقاه من وحد قبلهم من الشدائد، يؤنسهم بذلك، وذكر لهم النبي ﷺ قصة الغلام ليصبروا على ما يلاقون من الأذى والآلام، والمشقات التي كانوا عليها، ليتأسوا بمثل هذا الغلام. في صبره وتصلبه في الحق وتمسكه به، وبذله نفسه في حق إظهار دعوته، ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وعظيم صبره، وكذلك الراهب صبر على التمسك بالحق حتى نشر بالمنشار، وكذلك كثير من الناس لما آمنوا بالله تعالى ورسخ الإيمان في قلوبهم، صبروا على الطرح في النار ولم يرجعوا في دينهم، ابن العربي (١): وهذا منسوخ عندنا، حسب ما تقدم بيانه في سورة «النحل» (٢).

قلت: ليس بمنسوخ عندنا، وأن الصبر على ذلك لمن قويت نفسه وصلب دينه أولى، قال الله تعالى مخبرا عن لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، وروى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر». أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن غريب (٣)، وروى ابن سنجر «محمد بن سنجر» عن أميمة مولاة النبي ﷺ قالت: كنت أوضئ النبي ﷺ، فأتاه رجل، فقال: أوصني. فقال: «لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت أو حرقته بالنار» الحديث (٤). قال علماؤنا: ولقد امتحن كثير من أصحاب النبي ﷺ بالقتل والصلب والتعذيب الشديد، فصبروا ولم يلتفتوا إلى شيء من ذلك ويكفيك قصة عاصم وخبيب وأصحابهما وما لقوا من الحروب والمحن والقتل والأسر والحرق، وغير ذلك، وقد مضى في النحل أن هذا إجماع ممن قوي في ذلك، فتأمله هناك.

قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ دعاء على هؤلاء الكفار بالإبعاد من رحمة الله تعالى: وقيل: معناه الإخبار عن قتل أولئك المؤمنين، أي: إنهم قتلوا بالنار فصبروا، وقيل: هو إخبار عن

(١) أحكام القرآن (٤/ ١٩٦) لابن العربي المالكي.

(٢) عند الآية (١٠٦).

(٣) صحيح: الترمذي (٢١٧٤) في الفتن. وصححه الألباني.

(٤) حسن: الهيثمي (٤/ ٢١٧) في المجمع وعزاه للطبراني، وفيه يزيد بن سنان الرهاوي، وثقه البخاري وغيره والأكثر على تضعيفه، وبقيته رجاله ثقات.

قلت: وله شاهد حسن عند ابن ماجه (٤٠٣٤) في الفتن من حديث أبي النرداء - رضي الله عنه.

وانظر: المشكاة (٥٨٠) للألباني - رحمه الله.

أولئك الظالمين، فإنه روي أن الله قبض أرواح الذين ألقوا في الأخدود قبل أن يصلوا إلى النار، وخرجت نار من الأخدود فأحرقت الذين هم عليها قعود. وقيل: إن المؤمنين نجوا، وأحرقت النار الذين قعدوا، ذكره النحاس، ومعنى ﴿عَلَيْهَا﴾ أي: عندها وعلى بمعنى عند، وقيل: ﴿عَلَيْهَا﴾ على ما يدنو منها من حافات الأخدود، كما قال:

وبات على النَّارِ النَّدَى والمَحْلَقُ (١)

والعامل في ﴿إِذْ﴾ ﴿قُتِلَ﴾، أي: لعنوا في ذلك الوقت. ﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ أي: حضور: يعني الكفار، كانوا يعرضون الكفر على المؤمنين، فمن أبي القوه في النار، وفي ذلك وصفهم بالقسوة ثم بالجد في ذلك: وقيل: ﴿عَلَى﴾ بمعنى مع، أي: وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين شهود. ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ مَلَأُكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾ وقرأ أبو حيو: «نَقِمُوا» بالكسر، والفصيح هو الفتح، وقد مضى في التوبة القول فيه (٢)، أي: ما نقم الملك وأصحابه من الذين حرقهم، ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ أي: إلا أن يصدقوا، ﴿بِاللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ أي: الغالب المتين، ﴿الْحَمِيدِ﴾ أي: المحمود في كل حال، ﴿الَّذِي لَهُ مَلَأُكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لا شريك له فيهما ولا نديد ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: عالم بأعمال خلقه لا تخفي عليه خافية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ يُتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي: حرقوهم بالنار، والعرب تقول: فتن فلان الدرهم والدينار: إذا أدخله النار لينظر جودته، ودينار مفتون، ويسمى الصانع: الفتان، وكذلك الشيطان، وورق فتين، أي: فضة محترقة، ويقال للحررة فتين، أي: كأنها أحرقت حجارته بالنار، وذلك لسوادها، ﴿ثُمَّ لَمْ يُتُوبُوا﴾ أي: من قبيح صنعهم مع ما أظهره الله لهذا الملك الجبار الظالم وقومه من الآيات والبيانات على يد الغلام، ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ لكفرهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ في الدنيا لإحراقهم المؤمنين بالنار، وقد تقدم عن ابن عباس، وقيل: ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ أي: ولهم في الآخرة عذاب زائد على عذاب كفرهم بما أحرقوا المؤمنين، وقيل: لهم عذاب الجحيم، وعذاب الحريق والحريق: اسم من أسماء جهنم؛ كالسعير، والنار دركات وأنواع ولها أسماء، وكأنهم يعذبون بالزمهرير في جهنم، ثم يعذبون بعذاب الحريق، فالأول عذاب ببردها، والثاني عذاب بحرّها.

(١) عجز بيت لأعشى قيس، وصدره: تشب لمقرورين يصطليانها

(٢) انظر الآية (٧٤) من سورة «التوبة».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: هؤلاء الذين كانوا آمنوا بالله؛ أي: صدقوا به وبرسله، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ﴾ أي: بساتين، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ من ماء غير آسن، ومن لبن لم يتغير طعمه، ومن خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ أي: العظيم، الذي لا فوز يشبهه.

﴿إِنْ بَطَشَ رَبُّكَ لَشَدِيدٌ﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿فَقَالَ لِمَ يُرِيدُ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ بَطَشَ رَبُّكَ لَشَدِيدٌ﴾ أي: أخذه الجبابة والظلمة، كقوله جل ثناؤه: ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، وقد تقدم، قال المبرد: ﴿إِنْ بَطَشَ رَبُّكَ﴾ جواب القسم، المعنى: والسماء ذات البروج إن بطش ربك، وما بينهما معترض مؤكد للقسم، وكذلك قال الترمذي الحكيم في «نوادير الأصول» (١): إن القسم واقع على ذكر صفة بالشدة: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ يعني الخلق - عن أكثر العلماء - يخلقهم ابتداءً، ثم يعيدهم عند البعث، وروى عكرمة قال: عجب الكفار من إحياء الله جل ثناؤه الأموات، وقال ابن عباس: يبدئ لهم عذاب الحريق في الدنيا، ثم يعيده عليهم في الآخرة، وهذا اختيار الطبري (٢)، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ أي: السور لذنوب عباده المؤمنين لا يفضحهم بها، ﴿الْوَدُودُ﴾ أي: المحب لأوليائه، وروى الضحاك عن ابن عباس قال: كما يود أحدهم أخاه بالبشرى والمحبة (٣)، وعنه أيضا: «الْوَدُودُ» أي: المتودد إلى أوليائه بالمغفرة (٤)، وقال مجاهد: الواد لأوليائه (٥)، فعول بمعنى فاعل، وقال ابن زيد: الرحيم (٦)، وحكى المبرد عن إسماعيل بن إسحاق القاضي أن الودود هو الذي لا ولد له، وأنشد قول الشاعر:

وَأَرْكَبُ فِي الرُّوعِ عُرْيَانَةً ذُلُولَ الْجَنَاحِ لِقَاحًا وَدُودًا

أي: لا ولد لها تحن إليه، ويكون معنى الآية: إنه يغفر لعباده وليس له ولد يغفر لهم من أجله، ليكون بالمغفرة متفضلا من غير جزاء، وقيل: الودود بمعنى المودود، كركوب وحلوب، أي: يوده عباده الصالحون ويحبونه.

قوله تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ قرأ الكوفيون إلا عاصما: «المجيد» بالخفض (٧)، نعتا للعرش، وقيل: لـ ﴿رَبِّكَ﴾؛ أي: إن بطش ربك المجيد لشديد، ولم يمتنع الفصل، لأنه جار مجرى الصفة في التشديد، الباكون بالرفع نعتا لـ ﴿ذُو﴾ وهو الله تعالى، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ لأن المجد هو النهاية في الكرم والفصل، والله سبحانه المنعوت بذلك، وإن كان قد وصف عرشه بالكريم في آخر

(١) انظر: نوادر الأصول (١/ ٥٠٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٠/ ١٤٦) وهو ضعيف إلى ابن عباس، فهو من طريق العوفيين.

(٣، ٤) منقطع: بين الضحاك وابن عباس - رضي الله عنهما.

(٥، ٦) صحيح إليهما: الطبري (٣٠/ ١٤٧).

(٧) قراءة متواترة: كما في تقريب النشر (ص ١٨٧).

«المؤمنون»^(١) ، تقول العرب: في كل شجر نار، واستجد المرخ والعفار^(٢)؛ أي: تناهيا فيه، حتى يقتبس منهما، ومعنى ذو العرش: أي: ذو الملك والسلطان؛ كما يقال: فلان على سرير ملكه؛ وإن لم يكن على سرير، ويقال: ثل عرشه، أي: ذهب سلطانه، وقد مضى بيان هذا في «الأعراف»^(٣) وخاصة في «كتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، «فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ» أي: لا يمتنع عليه شيء يريد. الزمخشري: «فَعَالٌ» خبر ابتداء محذوف، وإنما قيل: «فَعَالٌ» لأن ما يريد ويفعل في غاية الكثرة، وقال الفراء: هو رفع على التكرير والاستئناف؛ لأنه نكرة محضة، وقال الطبري: رفع: «فَعَالٌ» وهي نكرة محضة على وجه الاتباع لإعراب «الْفُورُ الْوُدُودُ»، وعن أبي السفر^(٤) قال: دخل ناس من أصحاب النبي ﷺ على أبي بكر رضي الله عنه يعودونه فقالوا: ألا نأتيك بطبيب؟ قال: قد رأيته! قالوا: فما قال لك؟ قال: قال: إني فعال لما أريد^(٥).

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾ فِرْعَوْنُ وَثَمُودُ ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴾

قوله تعالى: «﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾» أي: قد أتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لأنبيائهم؛ يؤنس بذلك ويسليه، ثم بينهم فقال: «﴿ فِرْعَوْنُ وَثَمُودُ ﴾» وهما في موضع جر على البدل من «الجنود»، المعنى: إنك قد عرفت ما فعل الله بهم حين كذبوا أنبياءه ورسله، «﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾» أي: من هؤلاء الذين لا يؤمنون بك، «﴿ فِي تَكْذِيبٍ ﴾» لك؛ كدأب من قبلهم، وإنما خص فرعون وثمود؛ لأن ثمود في بلاد العرب وقصتهم عندهم مشهورة وإن كانوا من المتقدمين، وأمر فرعون كان مشهورا عند أهل الكتاب وغيرهم، وكان من المتأخرين في الهلاك؛ فدل بهما على أمثالهما في الهلاك، والله أعلم.

﴿ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾ بَلْ هُوَ قَرِئٌ مَجِيدٌ ﴿ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾

قوله تعالى: «﴿ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾» أي: يقدر على أن ينزل بهم ما أنزل بفرعون، والمحاط به كالمحصور، وقيل: أي: والله عالم بهم فهو يجازيهم، «﴿ بَلْ هُوَ قَرِئٌ مَجِيدٌ ﴾» أي: متناه في الشرف والكرم والبركة، وهو بيان ما بالناس الحاجة إليه من أحكام الدين والدنيا، لا كما زعم المشركون، وقيل: «﴿ مَجِيدٌ ﴾» أي: غير مخلوق، «﴿ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾» أي: مكتوب في لوح، وهو محفوظ عند الله تعالى من وصول الشياطين إليه، وقيل: هو أم الكتاب؛ ومنه انتسخ القرآن والكتب، وروى الضحاك

(١) عند الآية (١١٦) .

(٢) المرخ والعفار : شجرتان فيهما نار ليست في غيرهما من الشجر ، و يسوى من أغصانهما الزناد فيقتدح بها وزنادهما أسرع الزناد ، والعرب تضرب بهما المثل في الشرف العالى . اللسان « مرخ ، وعفر » .

(٣) عند الآية (٥٤) من سورة الأعراف .

(٤) واسمه : سعيد بن محمد كما في التهذيب (٢ / ٤٢٩) .

(٥) منقطع : أبو السفر لم يدرك أبا بكر - رضي الله عنه - والقصة ذكرها ابن كثير (٨ / ٢٩١) في تفسيره ، وابن الجوزي (١ / ٢١٢) في صفة الصفوة ، وذكره أبو نعيم (١ / ٣٤) في الحلية ، وأحمد (٥٨٨) في الزهد بترقيمي . ورجاله ثقات على انقطاع فيه .

عن ابن عباس قال: اللوح من ياقوتة حمراء، أعلاه معقود بالعرش وأسفله في حجر ملك يقال له: ماطرئون، كتابه نور، وقلمه نور، ينظر الله عز وجل فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة؛ ليس منها نظرة إلا وهو يفعل ما يشاء؛ يرفع وضيعا، ويضع رفيعا، ويغني فقيرا، ويفقر غنيا؛ يحيي ويميت، ويفعل ما يشاء؛ لا إله إلا هو^(١)، وقال أنس بن مالك ومجاهد، إن اللوح المحفوظ الذي ذكره الله تعالى في جبهة إسرافيل^(٢)، وقال مقاتل: اللوح المحفوظ عن يمين العرش، وقيل: اللوح المحفوظ الذي فيه أصناف الخلق والخلق، وبيان أمورهم، وهو أم الكتاب^(٣)، وقال ابن عباس: أول شيء كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ إني أنا الله لا إله إلا أنا، محمد رسولي، من استسلم لقضائي، وصبر على بلائي، وشكر نعمائي، كتبه صديقا وبعثته مع الصديقين، ومن لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي، ولم يشكر نعمائي، فليتخذ إلها سواي^(٤)، وكتب الحجاج إلى محمد ابن الحنفية رضي الله عنه يتوعده؛ فكتب إليه ابن الحنفية بلغني أن لله تعالى في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة في اللوح المحفوظ؛ يعز ويذل، ويبتلى ويفرح، ويفعل ما يريد؛ فلعل نظرة منها تشغلك بنفسك، فتشتغل بها ولا تتفرغ^(٥)، وقال بعض المفسرين: اللوح شيء يلوح للملائكة فيقروونه.

وقرأ ابن السميع وأبو حيوة «قرآن مجيد» على الإضافة؛ أي: قرآن رب مجيد، وقرأ نافع «لوح محفوظ» بالرفع نعتا^(٦) للقرآن؛ أي: بل هو قرآن مجيد محفوظ في لوح، الباقرن بالجر نعتا للوح، والقراء متفقون على فتح اللام من «لَوْح» إلا ما روي عن يحيى بن يعمر؛ فإنه قرآن «لَوْح» بضم اللام، أي: إنه يلوح، وهو ذو نور وعلو وشرف، قال الزمخشري^(٧): واللوح الهواء؛ يعني

(١) ضعيف جداً إن لم يكن موضوعاً: الضحّاك لم يلق ابن عباس - رضي الله عنهما - وهذا كلام شبيه بالإسرائيليات لا يروى إلا عن الثعلبي وغيره .

(٢) وقاله قتادة ولا أعرف صحته متناً إلا أنه غريب ، ولا أراه يصح كما في تفسير الطبري (٣٠ / ١٤٩) .

وانظر: البداية والنهاية (١ / ٢١) لابن كثير - رحمه الله .

(٣) (٤) الخبر من الإسرائيليات ، وروايته من رواية إسحاق بن بشر الكاهلي وهو كذاب ، ولا غلغ لك مستنداً من الوحي يدل على صحة هذه المقاطيع أو الموقوفات .

(٥) ذكره ابن كثير (٩ / ٤١) في البداية والنهاية .

(٦) قراءة متواترة : كما تقرب النشر (١٨٧) .

(٧) انظر : الكشف (٤ / ٢٠١) .

فائدة : فوائد أصحاب الأخدود كما ذكرها العلامة ابن عثيمين - رحمه الله :

١ - أن الغلام أقبل للتعليم (يعني أكثر قابلية) ولأن التعليم للغلام الشاب هو الذي يبقى ولا ينسى ، ولهذا كان التعليم في الصغر خيراً بكثير من التعليم في الكبر وفي كل خير . لكن التعليم في الصغر فيه فوائد : الأولى : الشاب في الغالب أسرع حفظاً لأنه فارغ البال ليست عنده مشاكل .

وثانيها : أن ما يحفظه الشاب يبقى وما يحفظه الكبير ينسى وقالوا : التعليم في الصغر كالنقش على الحجر . وثالثها : أن الشاب إذا بُقِف العلم من أول أمره صار العلم كالسجية له ، والطبيعة له ، وصار كأنه غريزة قد شب عليها فيشيب عليه .

٢ - المعارض : فالراهب أمر الغلام بالكذب لأن فيه مصلحة تربو على مفسدة الكذب، مع أنه يمكن أن يتأول .

٣ - الراهب على ما عنده من الجهل لكن يعبد الله على بصيرة فهو مهتد .

اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح، وفي «الصحاح»: لاح الشيء يلوح لوحاً، أي: ملح، ولاحه السفرو: غيره، ولاح لوحاً ولواحاً: عطش، والتاح مثله، واللوح: الكتف، وكل عظم عريض، واللوح: الذي يكتب فيه، واللوح بالضم: الهواء بين السماء والأرض، والحمد لله.

تم بعون الله تعالى الجزء التاسع عشر
من تفسير القرطبي يتلوه إن شاء الله تعالى
الجزء العشرون، وأوله: سورة «الطارق»

-
- = ٤ - تشريع الاستخارة إذا شك الإنسان في أمر، أو تردد أو هم به وأشكك عليه - كما دعا الغلام ربه بأن يفصل به في أمر الراهب والساحر - وأعاضنا الله بالاستخارة - أو المشورة لأهل الصلاح .
- ٥ - إثبات الكرامة للولي من خلال كرامات الغلام .
- ٦ - أن الكرامة يردّها صاحبها لله تعالى لا لنفسه .
- ٧ - إن كانت المسألة تتعلق بالحياة أو الموت فللإنسان الخيار إن شاء قال كلمة الكفر دفعاً للإكراه مع طمأنينة القلب - كما فعل عمّار - رضي الله عنه ، وإن شاء أصرّ وأبى وإن قتل ، هذا إذا كان الأمر عائداً إلى نفسه .
- ٨ - أما إذا كان عائداً للدين فلا يعني أن العبد إذا كفر ظاهراً أمام الناس كفر الناس بكفره فلا يجوز له أن ينطق بكلمة الكفر ؛ بل يصبر حتى لو قتل ، كما فعل الإمام أحمد بن حنبل في محنة خلق القرآن - فلو قال بخلق القرآن لقاتل الأمة به .
- ٩ - العاقبة للصابرين .
- ١٠ - دعاء المضطر مستجاب .
- مختصراً من شرح رياض الصالحين (١/ ١١٦ - ١٢٠) لابن عثيمين - رحمه الله .